فتنة النّساء

قصيدة شِعريّة بقلم: عمر تشيش[1]؛

توّجت هذه القصيدة بالجائزة الثّانية

في منافسة الإبداع الطّلّابيّ (02)؛

التي نظّمها نادي ابن رشيق للفكر والأدب، بجامعة تامنغست.

موضوع الجائزة: الوعي بقضايا التّحرّر وتوظيفاتها.

محور القصيدة: تحرير المرأة.

ملحوظة: يلي القصيدة مُلحق بعنوان:

النّقد البنّاء لقصيدة "فتنة النّساء"؛

بقلم: أبي عبدالسّلام، عبدالصّمد سليمان.

---

[1] – أستاذ محاضر في اللّغة العربيّة وآدابها، بجامعة تامنغست، بالجزائر.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تامنغست أمين العقال الحاج موسى أق أخاموك
كلية الآداب واللغات _قسم اللغة العربية

نادي ابن رشيق للفكر والأدب

شهادة تكريم

تتقدم أسرة النادي بتقديم هذه الشهادة للسيد :

د عمر تشيش

لتفوقه في جائزة الإبداع الطلابي بطبعتها الثانية
المنظمة من طرف النادي الأدبي، وحصوله على:

المرتبة الثانية عن فئة الشعر العمودي

متمنين له دوام العطاء والإبداع والتوفيق في المجال
العلمي والعملي

رئيس النادي

رئيس نادي إبن رشيق
للفكر والآداب
فتحي عبد الوهاب

أطلق العنان للإبداع وضع بصمتك

فِتْنَةُ النِّسَاء[1]

(الطويل)

إِلَـــى اللّٰهِ نَشْـــكُو مَـــا نُلَاقِـــي مِـــنَ النِّسَـــا
يُصَـــيِّرْنَ ذَا عَقْـــلٍ بِهِـــنَّ مُوَسْوَســـا
فَهَـــذِي يَفُـــوحُ العِطْـــرُ مِنْهَـــا كَزَهْـــرَةٍ
تُغَـــازِلُ نَحْـــلَ الحَـــيِّ أَنْ يَتَنَفَّســـا
وَتِلْـــكَ تَرَاهَـــا كَالجَـــوَادِ مُطَقْطِقًـــا
لِتُبْـــدِيَ حُسْـــنًا يَجْعَـــلُ الشَّـــيْخَ مُبْلِسـا
وَأَمَّـــا الفَتَـــى فَـــالعَيْنُ مِنْـــهُ تَفلَّتَـــتْ
فَـــأَتْبَعَ أَنْفًـــا إِثْرَهَـــا مُتَجَسِّســـا

[1] يُنظر في المُلحق: "النّقد البنّاء لقصيدة فتنة النّساء"، بقلمِ أبي عبدالسّلام، عبدالصّمد سليمان.

فَهُـــنَّ زُهُـــورٌ يَشْـــتَهِي المَـــرْءُ شَـــمَّهَا

وَهُـــنَّ الأَفَـــاعِي تَلْـــدَغُ المُتَلَمِّســـا

لَقَـــدْ زُيِّنَـــتْ فِـــي "آلِ عِمْـــرَانَ" شَـــهْوَةً

وَمَـــا تُرِكَـــتْ فِينَـــا أَضَـــرُّ مِـــنَ النِّســـا

فَمَـــا الكَيْـــدُ إِلّا مَـــا نَسَـــجْنَ خُيُوطَـــهُ

وَمَـــا نَحْـــنُ إِلَّا كَالفَـــرَاشِ تَحَسُّســـا

فَمَـــنْ كَانَ ذَا مَـــالٍ أَحَطْـــنَ بِمَالِـــهِ

فَأَمْسَـــى مِـــنَ الإِنْفَـــاقِ أَصْـــرَمَ مُفْلِســـا

وَمَـــنْ لَـــمْ يَكُـــنْ ذَا دِرْهَـــمٍ أَوْ وَسَـــامَةٍ

تَجَـــرَّعَ مِـــنْهُنَّ المَـــرَارَةَ مُتْعَســـا

فَـــأَوْلَى بِـــهِ أَنْ يُكْثِـــرَ الصَّـــوْمَ عِفَّـــةً

لِـــئَلَّا يُـــرَى بَـــيْنَ البَغَايَـــا مُحَلَّســـا

فَـــإِنْ تَصْـــبُ يَوْمًـــا لِلْغَـــوَانِي بِفِطْـــرَةٍ

فَـــرُمْ ذَاتَ دِيـــنٍ وَارْعَهَـــا -صَـــاحِ- مَغْرِســـا

فـــإِنِّي رَأَيْـــتُ الـــمَرْءَ إِنْ كَانَ طَـــاهِرًا

وَحَـــامَ بِجَنْـــبِ الغَانِيَـــاتِ تَنَجَّســـا

وَبَـــاعَ صَـــلَاحًا كَانَ يَعْلُـــو بِنُـــورِهِ

فَأَمْسَـــى جَهُـــولًا حَقُّـــهُ أَنْ يُكَرْدَســـا

سَـــأَنْأَى بِنَفْسِـــي مَـــا حَيِيـــتُ عَـــنِ الهَـــوى

وَإِنْ عِشْـــتُ فَـــرْدًا بِـــالقَرَاطِيسِ مُؤْنَســـا

فَـــأُنْسُ الفَتَـــى بِـــالعِلْمِ يَسْـــمُو بِقَـــدْرِهِ

فَيَحْيَـــا شَـــرِيفًا لَا يُقَـــارِبُ مُومِســـا

فَـــلَا تَعْصِـــفُ الأَهْـــوَاءُ هَبَّـــتْ رِيَاحُهَـــا

بِمَـــنْ عَـــاشَ يَحْمِـــي عِرْضَـــهُ أَنْ يُدَنَّســـا

وَلَسْـــتُ أَرُومُ العَـــيْشَ كَالـــذِّيبِ هَائِمًـــا

عَلَـــى وَجْهِـــهِ، يَعْـــوِي إِذَا اللَّيْـــلُ عَسْعَسَـــا

فَمَـــا نَعِمَـــتْ دُونَ النِّسَـــاءِ مَعِيشَـــةٌ

يَشِـــبُّ الفَتَـــى فِيهَـــا وَحِيـــدًا مُنَحَّســـا

وَلَكِنَّنِـــي أَرْجُـــو مِـــنَ اللّٰهِ أَرْبَعًـــا

يَقِـــينَ فُـــؤَادِي أَنْ يَزِيـــغَ فَيُنْكَســـا

وَأَطْمَـــعُ فِـــي الفِـــرْدَوْسِ طَـــابَ نَعِيمُهَـــا

وَحُـــورٍ حِسَـــانٍ لَا يُكَـــدِّرْنَ مَجْلِســـا

مُلحق

النَّقْدُ البَنَّاء لقصيدة "فتنة النّساء"،

بِقلم: أبي عبدالسّلام، عبدالصّمد سليمان.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أنا الممضي أسفله: عبدالصّمد سليمان؛

المولود في تاريخ: 03 جوان 1972 ؛

بمدينة: مغنيّة / بولاية تلمسان؛

السّاكن ببلديّة مَغنيّة؛

الحامل بطاقة التّعريف الوطنيّة رقم: 102176186 ؛

الصّادرة عن بلديّة مَغنيّة في تاريخ: 03 ديسمبر 2016 ؛

أُصرِّح بأنّني

قد أَذِنْتُ لِعُمر بن عبدالحميد تشيش أن يُلحق بديوانه الشِّعريّ شرحي لقصيدته "فتنة النّساء"، وهو الشّرح المسمّى: "النّقد البنّاء لقصيدة فتنة النّساء".

كما أَذِنْتُ له أن يستعمل هذا النّقد ـ بالمعروف ـ دون قيد أو شرط، متنازلا له عن حقوق تأليفه.

والله الموفّق.

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

نشر الأخ الفاضل "عمر تشيش" -حفظه الله- قصيدته "فتنة النّساء" في مجموعتنا (على "واتسب"، سابقا)، وعلّقتُ على قصيدته بما رأيته مناسبا لها، مُبِينًا عن حقيقة شعوري تجاهها، ومُنْبِئًا عن حكمي على شكلها ومضمونها.

ثم بعد ذلك كلّمني أحدهم في ذلكم التّعليق، وأبدى توقّفه في بعض كلماته التي رآها لا تليق، وأنها أكبر من مضمون القصيدة، فكيف أقول فيها: "قوية في مبناها مفيدة في معناها"؟! ورأى أن المعنى الذي حوته ليس بالكبير، الذي يستحق كل هذا التكريم والتقدير، فأخبرته عما رأيته فيها، وأنبأته بالذي فهمته منها، وأعلمته أنني لست ممن يجامل، فضلا أن يخاتل، ولست أيضا ممن يقول الكلام إلّا إذا اعتقده، وكان يقصد معناه الذي يدلّ عليه. ثمّ بيّنت له كيف كانت القصيدة في معانيها مفيدة، وإليك بعض ما فهمته منها، وشعرت به عند قراءتها:

فالقصيدة التي بين أيدينا قصد ناظمها التّحذير من فتنة النساء، وبيان ما يقع بسببهنّ من البلاء؛ وهذا مقصد عظيم جاءت به آيات القرآن المبين، وأحاديث نبيّنا الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم؛ وهذا أكبر ما أعجبني فيها؛ أنها أُسّست على جملة من النّصوص الدّينيّة، والعديد من الأدلّة الشّرعيّة، وإليك بعض البيان:

قال الشّاعر في أولها:

إِلَـــى اللهِ نَشْـــكُو مَـــا نُلَاقِـــي مَـــنَ النِّسَـــا

يُصَـــــيِّرْنَ ذَا عَقْـــــلٍ بِهِـــــنَّ مُوَسْوَسَـــــا

بدأ الشّاعر -سلّمه الله- برفع شكواه إلى مولاه سبحانه، وكانت الشّكوى التي رفع عقيرته بها، وأراد أن يستنزل الإعانة من الله عليها هي: الشّكوى من فتنة النّساء، والتي عَظُمَ بسببها البلاء، وعمّت البلاد، وأفسدت قلوب كثير من العباد، وقد أشار إلى خطورتها وعظيم ضررها بالإشارة إلى ما قرّره النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- مِن أنّ فتنتهنّ تَذْهَبُ بِأَلْبَابِ أُولي الحزم، وعقول أهل القوّة والعزم، فما بالك بغيرهم ممّن ضَعُفت عقولهم، وخارت قوى ألبابهم.

والحديث الذي أشار إليه ويتضمّن المعنى الذي أراد تقريره هو: عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صلّى الله عليه وسلم -فِي أَضْحًى، أَوْ فِطْرٍ- إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ". فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ. مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ". قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: "أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟!". قُلْنَ بَلَى. قَالَ: "فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟!". قُلْنَ بَلَى. قَالَ:" فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا". رواه البخاريّ -رحمه الله-.

وهذا أول موطن اعتمَد فيه على حديث رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- وزيّن قصيدته به ورفع من قدرها بالإشارة إليه. ثمّ بدأ بذكر فتنتهن وما يقع من دواعي الفتنة منهن فقال:

فَهَـــذِي يَفُـــوحُ العِطْـــرُ مِنْهَـــا كَزَهْـــرَةٍ

تُغَـــــازِلُ نَحْـــــلَ الحَـــــيِّ أَنْ يَتَنَفَّســـــا

وهذا من المواطن التي أجاد فيها الشّاعر وأفاد؛ أما جودة التّصوير، فيتذوّقها كل مَن سمع الشّعر وتلذّذ به، وخبر طرائق أهله فيه. وأمّا من حيث جودة المعنى، والفائدة التي حواها المبنى، فقد بيّن طريقة من الطرق التي تستعملها النّساء لفتنة الرّجال، ووسيلة من وسائل جلب الأنظار إليهنّ في كلّ الأحوال؛ أقصد الطِّيبَ الذي يجذب الرّجل مِن أنفه ويدعوه للدُّنُوّ من مصدره.

ولما كان الطّيب من المرأة مِن دواعي الافتتان بها، حرم الله عليها أن تستعمله خارج بيتها، ولذلك كان الشّاعر مُوَفّقا في الإشارة إلى الحديث وما تضمنه من معانٍ؛ والحديث هو ما رواه النَّسائيّ وغيره، عَنِ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ". وحسنه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع: رقم 2701.

ولقد أعجبني ما وُفّق إليه الشّاعر من الإشارة إلى الحديث الذي حرّم هذه الوسيلة سدّا لذريعة الفتنة، مع بيانه في الشّطر الثّاني من بيته المكانَ الذي حُرِّم على المرأة استعمال

الطّيب فيه؛ وهو خارج بيتها، وبالخصوص إذا مرت برجال الحَيِّ في طريقها.

فكيف لا يَعْظُم وقع هذا البيت عندي وفيه كل هذه المعاني؟

ثمّ أَتْبَعَ كلامه على هذه الوسيلة بالكلام على وسيلة أخرى من وسائل النّساء الخطيرة، والتي يَقْصِدْنَ بها فتنة الرّجال، فقال:

وَتِلْـــكَ تَرَاهَـــا كَالجَـــوَادِ مُطَقْطِقًـــا

لِتُبْـــدِيَ حُسْـــنًا يَجْعَـــلُ الشَّـــيْخَ مُبْلِســـا

والوسيلة التي أشار إليها في هذا البيت هي ضربها برِجْلِها، لتدلّ على ما خفي على الرّجال من بَدَنِها، أو لِتَلْفِتَ الانتباه إلى ما كَشفته مِن مفاتنها، ومعلوم أنّ مُريدي الفتنة اليوم قد تفننوا في صُنع الأحذية المُطَقْطِقَة على حدّ قول شاعرنا، ليزيدوا من فتنة النّساء اللّائي مَلَأْنَ شوارعنا.

وهذا البيت أيضا فيه اقتراب من نصّ قرآني ذكر هذه الوسيلة ناهيا عنها، محرّما لها، وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ، وَتُوبُوا إِلَى اللهِ

جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سورة النّور: من الآية 31.

ولقد أعجبني في هذا البيت تشبيه ضربها برجلها بضرب الجواد بقوائمه، وهذا تشبيه جيّد من نواحٍ عدّة:

النّاحية الأولى: تشبيه الصّوت بالصّوت، ويدلّ على قوّة الشّبه بينهما، وعلى أن ذلك مقصود لفاعله؛ أنّهم أحدثوا حذوة لحِذاء الإنسان، كحذوة حافر الحصان.

النّاحية الثّانية: تشبيه تبختر المرأة في مشيها بتبختر الجواد في تحركه.

الناحية الثّالثة: التفاتُ النّاس إلى الصّوت عند سماعه سواء كان قرع الجواد على الأرض بحوافره، أو ضرب المرأة برجليها.

وممّا أعجبني في هذا البيت قوله: «لتُبديَ حُسنا يجعل الشّيخ مُبلسا»، فهذا أثر صوت القارعة برجلها على الشّيخ الكبير النّاظر إلى حُسنها، أنه -لذهاب قواه، وضعف شهوته- يُبْلِسُ ساكتا، ويجلس مُنْدَهِشا متحيّرا، وحاله هذه إنّما هي ثمرة سنّه؛ فلا يقوى على حركة تؤيّدُه، ولا يتجرّأ على كلام

يفضحه، فلا يجد إلّا الإبْلَاسَ سبيلا، والإِيَاسَ له حلّا. أمّا الشّابّ، فبسبب عنفوانه، وقوّته، وغلبة الشّهوة عليه، فشأنُه غير شأنه، وحالُه بخلاف حالِه؛ ولذلك قال الشّاعر فيه:

وَأَمَّـــا الفَتَـــى فَـــالعَيْنُ مِنْـــهُ تَفَلّتَـــتْ

فَـــــأَتْبَعَ أَنْفًـــــا إِثْرَهَـــــا مُتَجَسِّســـــا

فهذا هو حال الفتى حينما يسمع صوت قرعها برجلها، أنه ينظر إليها بعينه، ويتأمّل محاسنها ببصره، غير عابئ بما يقال فيه -عكس الشّيخ-، ولا بما يوصف به، بل يسترسل لقوّته وعُنفوانه، فيُتبِع أنفه إثرها، متجسّسا أَثَرَهَا. وهذا فيه تصوير بديع؛ حيث عبّر عن سعيه خلفها، معاكسا لها، بإتْبَاعِ الأنف، لأنّ الأنف لا يمكنه أن يتبعها لوحده، ولا أن يتجسّس عليها بمفرده، وكأنّه مِن وُلوعه بها، وتأثّر قلبه بما جاء به الرّسول الأوّل، وهو العَيْن، أتبعها بالرّسول الثّاني وهو الأنف، ليتجسّس ريحها، طالبا راحة قلبه بشمّه، والحقيقة، إنّما يزيد بذلك من مرض قلبه، وفساد لُبّه، وظُلمة صدره.

ومما أعجبني في هذا البيت، وحَسَّنَ وقعَه عندي كلمة "تَفَلَّتَتْ"، لدلالاتها، وارتباطها بآيات من كتاب الله تشير إلى معانيها؛ فهي تشير إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن العَيْنَ بعد سماع الصّوت تفلّتت من رقابة المراقِبين، وحضور المُجالسين، فهي تنظر إلى صاحبة الصّوت خفْيَةً، وتتجسس خبرها خِلسة، وفي هذا إشارة إلى قول الله تعالى زاجرا من يتّصف بهذه الصفة، ويقع في مثل هذه الفعلة: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾. سورة غافر: الآية 19.

الأمر الثّاني: أن السّامع للصّوت، تفلّت مِن القيود، وحاد عن الجدد. والقيود التي تفلت منها هي قيود الشرع الحكيم، والجدد الذي حاد عنه هو الصّراط المستقيم: ففي البيت إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾. سورة النور: الآية 30.

ثم قال كلاما مرتبطا بما قرّره في هذا البيت حيث قال:

فَهُـــنَّ زُهُـــورٌ يَشْـــتَهِي المَـــرْءُ شَـــمّهَا

وَهُـــــنَّ الأَفَـــــاعِي تَلْـــــدَغُ المُتَلَمِّســـــا

لمّا تكلّم على إِتْبَاعِ بَصَرِ العَيْنِ المُتفلِّت شمّ الأنف المُتجسِّس، ناسب أن يتكلّم على شهوة شمّ النّساء عند الرجال، فوصفهنّ بالزّهور التي تدعو رؤيتها إلى شمّها، ولو لم تكن ذات رائحة تعبق بها، لأنها الفطرة التي فُطِرَ النّاسُ عليها.

ثمّ استدرك على نفسه -مخافة أن يدعو ضعاف العقول إلى الفاحشة بقوله- ببيان خطورة القرب منهنّ، ولمسهنّ في غير الحلال، أنهن حينئذ أفاعٍ تلدغه.

ولقد شاكل قوله قول امرأة ردّت على شاعر مرّ بها مع بعض أترابها، فأعجبه شأنهنّ، وتأثر بحسنهنّ، فقال:

إِنَّ النِّسَـــاءَ شَـــيَاطِينُ خُلِقْـــنَ لَنَـــا

نَعُـــوذُ بِـــاللهِ مِـــنْ شَـــرِّ الشَّـــيَاطِينِ

فأجابته المرأة المذكورة -على البديهة- قائلة:

إِنَ النِّسَـــاءَ رَيَـــاحِينُ خُلِقْـــنَ لَكُـــمْ

وَكُلُّكُـــمْ يَشْـــتَهِي شَـــمَّ الرَّيَـــاحِينِ

قُلْتُ: وهذا هو الذي قرّره شاعرنا في الشّطر الأول من بيته، ويقوم بما قرّره في الشّطر الثّاني مِن البيت أن يُقال لمن تلمسهنّ في غير الحلال:

إِنَّ النِّسَـــاءَ شَـــيَاطِينُ خُلِقْـــنَ لَنَـــا

نَعُـــوذُ بِـــاللهِ مِـــنْ شَـــرِّ الشَّـــيَاطِينِ

ثُمَّ نبّه على خطورتهنّ، وعظيم مَيْل الرّجال إليهنّ؛ بالإشارة إلى آية في كتاب الله، وحديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

لَقَـــدْ زُيِّنَـــتْ فِـــي "آلِ عِمْـــرَانَ" شَـــهْوَةً

وَمَـــا تُرِكَـــتْ فِينَـــا أَضَـــرُّ مِـــنَ النِّســـا

أما الآية التي أشار في الشّطر الأول إليها، بل وذكر السّورة التي اشتملت عليها، فهي قول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ

مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾. سورة آل عمران: الآية 14.

وأمّا الحديثُ الذي أشار إليه في الشّطر الثّاني، وساق معنى ما تضمّنه فيه؛ فهو: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ -رضى الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ». رواه البخاريّ ومسلم.

ثم أَمْعَنَ في التّحذير منهنّ، وبيان خطرهنّ؛ بذِكر ما وَصَفَهُنَّ الله به من الكيد العظيم للرّجال، والذي صار دَيْدَنَهُنَّ، وأخبر عن خطورته ببيان صعوبة خروج من وقع فيه منه، وصار حبيسا بين خيوطه؛ حيث قال:

فَمَـــا الكَيْـــدُ إِلّا مَـــا نَسَـــجْنَ خُيُوطَـــهُ

وَمَـــــا نَحْـــــنُ إِلَّا كَالفَـــــرَاشِ تَحَسُّســـــا

والمعنى الذي جلّاه الشّاعر في هذا البيت مأخوذ من كلام الله سبحانه، حيث يقول في محكم تنزيله: (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ). سورة يوسف: 28.

ثم إنّ مِن جميل التّصوير وبديع التّشبيه أن شبّه كيد النّساء ببيت العنكبوت التي تحيكه من خيوطها، حتى يصير مصيدة لها، وشَرَكا لفرائسها. كما أنه أبدع في التّشبيه حينما شبه ضعف الرجال أمام النّساء بضعف الفَراش الواقع في الشّراك؛ وهذا التّشبيه أراه بديعا؛ لأن خيوط العنكبوت لا تمسك بالفراش لقوتها، وإنّما لضعفه عندها، وهكذا كيد النّساء يوقع بالرّجال ليس لمتانته وقوّته، وإنّما لضعف الرّجال عندهنّ.

ثمّ لمّا كان الصّيّاد إنما ينصب شراكه، ويُعِدّ مصيدته من أجل صالح نفسه، الذي يحققه من صيده وفريسته، فهو ينتفع بها وهي تتضرر به، ذَكَر مقصدا من مقاصد النّساء من كيدهنّ للرّجال، وهو استنزاف ما عندهم من المال، فقال:

فَمَـــنْ كَانَ ذَا مَـــالٍ أَحَطْـــنَ بِمَالِـــهِ

فَأَمْسَـــى مِـــنَ الإِنْفَـــاقِ أَصْـــرَمَ مُفْلِســـا

وهذا البيت فيه ذكر مفسدة من مفاسد مخالطتهنّ، والوثوق فيهنّ، وعدم التّحرّز من سَفَهِهِنّ، وهذا المعنى قد جاء أيضا في كتاب الله حيث حذّرنا ربّنا من أن نُؤتي السّفهاء

أموالنا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾. سورة النساء: الآية 05.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقد قال الضّحّاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، قال: هم بَنُوكَ والنّساء، وكذا قال ابن مسعود، والحَكَمُ بن عُتَيبة والحسن، والضّحاك: هم النساء والصبيان. انتهى.

قلتُ: ولذلك استحبّ العلماء كتم مقدار المال عن الأولاد والزّوجات، حتى لا يُذْهِبُوه إن كان كثيرا بكثرة النفقات.

قال الإمام ابن الجوزيّ -رحمه الله- في "صيد الخاطر: ومِن العَجْزِ إفشاءُ السّرّ إلى الولد والزوجة.

والمال من جملة السّرّ. فإطلاعهم عليه، إن كان كثيراً، لَرُبَمَا يفضي إلى أن يتمنّوا هلاك صاحبه. وإن كان قليلاً تبرموا. وربما طلبوا من الكثير على مقدار كثرته فأتلفته النّفقات.

ثمّ أخبر عن حقيقة كثيرٍ منهنّ، وأنهنّ إنّما يقصدن مصالحهن، ولا يبغين غير نفع أنفسهنّ، فلذلك هنّ لا يطلبنَ مِن الرّجال، إلا صاحب المال أو الوسامة والجمال، فإذا كان الرّجل فاقدا لهذين الأمرين، كان مرفوضا من قِبلهنّ، مدفوعا عن أبوابهنّ، لا يُرِدْنَهُ، ولا يَرْضَيْنَ به، فقال:

وَمَـــنْ لَـــمْ يَكُـــنْ ذَا دِرْهَـــمٍ أَوْ وَسَـــامَةٍ

تَجَـــــرَّعَ مِـــــنْهُنَّ المَـــــرَارَةَ مُتْعَســـــا

ثم لما كان قد أخبر بحال المطرود من قربهنّ، والتّعيس بعدم وجود من ترضى به منهنّ؛ استطرد مُبَيِّنا السّبيل التي ينبغي أن يسلكها مَن كانت هذه حاله، وهذا هو قدَرُه؛ أن يُقبِل على طاعة ربه، ويقطع شهوته بما جاء في سُنّة نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال:

فَـــأَوْلَى بِـــهِ أَنْ يُكْثِـــرَ الصَّـــوْمَ عِفَّـــةً

لِـــئَلَّا يُـــرَى بَـــيْنَ البَغَايَـــا مُحَلَّســـا

وهذا البيت فيه إشارة إلى حديث النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- وهو: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». رواه البخاري ومسلم، واللّفظ لمسلم.

ثُمّ نصح من لم يصبر على الصوم، وقَدَرَ على النِّكاح مِن القَوْم، مستجيبا لفطرته، مائلا إليهنّ بطبيعته؛ أن يقصد ذوات الدّين، وأن يطلب الطّيّبات من بنات المسلمين، لأنها هي التي تصلح لحَرْثِه، وتُخْرِجُ الجيّد من زرعه، فقال:

فَـــإِنْ تَصْـــبُ يَوْمًـــا لِلْغَـــوَانِي بِفِطْـــرَةٍ

فَـــرُمْ ذَاتَ دِيـــنٍ وَارْعَهَـــا -صَـــاحِ- مَغْرِســـا

وهذا البيت فيه إشارة إلى حديث نبويّ وآية قرآنية؛ ففي قوله: «فَرُمْ ذات دين»، إشارة إلى ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.

وفي قوله: «وارعها، صاح، مغرسا» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ

وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة البقرة: الآية 223.

ولقد أعجبني هذا البيت كثيرا؛ حيث أن الشّاعر -سَلَّمَهُ الله- دعا من تاقت للزواجِ نفسُه، ومال إلى البحث عن شريكة العُمر قلبُه، أن يطلب ذات الدِّين، كما أمره سيّد الأنبياء والمرسلين.

ثمّ رغّبه أن يستحضر مقصدا من مقاصد النّكاح، ومطلبا عظيما من مطالب الزّواج، ألا وهو الذُّرّيّة، التي جاء التّرغيب فيها، والحثّ على قصدها وطلبها؛ فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ إِلاَّ أَنَّهَا لاَ تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَنَهَاهُ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ». رواه النَّسائيّ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء: رقم 1784.

ثم زاد في التّحذير من شرّ النّساء، والتّنفير عنهنّ بِذِكر ما يصاب به الحائم بهنّ من الأدواء، فقرّر أنّ القُرب منهنّ – في غير الحلال- يَذهب بطهارة المؤمنين، ويصيّرهم أنجاسَ

العِرْضِ والعَيْنِ. كما أنه يفسد عليهم صلاحهم، والذي كان نوره يُعْلِيهم بين أقرانهم وبني جنسهم، فيبيعونه بأبخس الأثمان، ويكسبون بدلا منه جهلا يُكردِسهم في العذاب والهوان، فقال:

فـــإِنِّي رَأَيْـــتُ الـــمَرْءَ إِنْ كَانَ طَـــاهِرًا

وَحَـــــامَ بِجَنْـــــبِ الغَانِيَـــــاتِ تَنَجَّســـــا

وَبَـــاعَ صَـــلَاحًا كَانَ يَعْلُـــو بِنُـــورِهِ

فَأَمْسَـــــى جَهُـــولًا حَقُّـــهُ أَنْ يُكَرْدَســـــا

وأعجبني البيت الأول لما اشتمل عليه أيضا من الإشارة إلى النّجاسة التي يتلطّخ بها المخالط للغواني، الملتحق بركب الزُّناة والزَّواني؛ وهي نجاسةٌ تُصيبُ العِرْضَ والدِّين، وتُبعِد عن ربِّ العالمين، ويستحق صاحبها العذاب الأليم في الدّنيا والآخرة؛ نسأل الله السّلامة والعافية.

وهذا المعنى يتطابق مع ما جاء في النّصوص الشّرعية، ومنها: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ: "وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ". قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ

بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم-: "وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ". قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: "فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟". فَقَالَ مِنَ الزِّنَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-:" أَبِهِ جُنُونٌ؟". فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ: "أَشَرِبَ خَمْرًا؟". فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم-:" أَزَنَيْتَ؟". فَقَالَ نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ: قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ؛ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ. وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ.

قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: "اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ". قَالَ: فَقَالُوا غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-:" لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ".

قَالَ ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الأَزْدِ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ:" وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ". فَقَالَتْ أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ. قَالَ:" وَمَا ذَاكِ؟". قَالَتْ إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَا. فَقَالَ:" آنْتِ؟". قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهَا: "حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ". قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ فَأَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ. فَقَالَ: "إِذًا لاَ نَرْجُمَهَا وَنَدَعَ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ". فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ. قَالَ: فَرَجَمَهَا. رواه الإمام مسلم.

فهذه طهارة الدُّنيا من هذه النّجاسة، وهي شديدة نسأل الله السّلامة والعافية، أما من لم يُطَهَّرْ في الدنيا وأُخِذ بذنبه في الآخرة فعذاب الله أشد؛ فاللّهم سَلِّم.

وأعجبني البيت الثّاني لما فيه من المعاني، التي توافق كتاب الله وسنة رسوله، وهي:

المعنى الأول: أنّ الصّلاح يُعلي صاحبه قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. سورة المجادلة: مِن الآية 11.

المعنى الثاني: أن للصّلاح نورا يُرى على صاحبه في الدّنيا والآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾. سورة الفتح: مِن الآية 29. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سورة التحريم: الآية 08.

المعنى الثّالث: أنّه إذا باع صلاحه واشترى طلاحا بدلا عنه، صار جهولا، والجَهل المقصود هنا هو جهل العمل قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾. سورة النّساء: مِن الآية 17. قَالَ قَتَادَةُ: أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ كُلَّ مَا عُصِيَ اللهُ بِهِ فَهُوَ جَهَالَةٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَصَى اللهَ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا

فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

المعنى الرّابع، في قوله: "حَقُّهُ أن يُكَرْدَسَا" إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل المعاصي عند مرورهم على الصّراط: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ». رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وذكره التّبريزيّ في المشكاة بلفظ: "فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ".

ثُمّ ذكر الشّاعر ما يَهُمُّ به، ويعقد العزم على العيش عليه؛ ألا وهو: البعد ما حَيِيَ عن هوى النّساء وقربهنّ، وإن عاش فردا وحيدا فَلَهُ في العِلْمِ ما يؤنسه، ويُذهِب وحشة الانفراد عنه، فقال:

سَـــأَنْأَى بِنَفْسِـــي مَـــا حَيِيـــتُ عَـــنِ

وَإِنْ عِشْـــتُ فَـــرْدًا بِـــالقَرَاطِيسِ مُؤْنَســـا

ثمَّ زاد البيت تقريرا، وبيانا وتحريرا؛ بِبَيْتٍ ذَكَر فيه بعض فضائل العلم الذي جعلَه سُلْوَانَهُ، ومؤنسه في وحشته، فقرَّر أن العلم يسمو بقدر العامل به، ويُشَرِّفه بين بني جنسه، ويُبْعِدُهُ عمَّن يُدَنِّسُ عِرْضَهُ ويُذْهِبُ قَدْرَه، وخص بالذّكر المومسات، اللّائِي يُوقِعْنَ في المنكرات، فقال:

فَـــأُنْسُ الفَتَـــى بِـــالعِلْمِ يَسْـــمُو بِقَـــدْرِهِ

فَيَحْيَـــــا شَـــــرِيفًا لَا يُقَـــــارِبُ مُومِســـــا

ثُمَّ نَبَّه على قاعدة عامة، وهي: أنّ من عاش يحمي عرضه بالعِلم والعمل، مِن أدناس المعاصي والجهل؛ لم تُؤَثِّر فيه رياح الأهواء إذا عصفت، مهما اشتدَّت وتتابعت، فمن مَتَّنَ الأساس والأصل، بقي ثابتا مهما حصل ويحصل، فقال:

فَـــلَا تَعْصِـــفُ الأَهْـــوَاءُ هَبَّـــتْ رِيَاحُهَـــا

بِمَـــنْ عَـــاشَ يَحْمِـــي عِرْضَـــهُ أَنْ يُدَنَّســـا

ثُمَّ لمّا أخبر بأنه سيَبْتَعِدُ بنَفسِه عن مظانِّهنّ، ويشغل نفسه بالعِلْمِ والعَمَلِ عنهنّ؛ خشي أن يُفهم منه إرادةُ التَّبَتُّل، وتركُ الزّواج كفعل الجُهَّالِ من النّاس، فأظهر أنه لا يريد أن يكون كالذِّئب الهائم على وجهه، الذي انفرد عن القطيع وصار يعيش وحده، بل صرح أنه يرى العيش بدون النِّساء من أسباب النَّحْسِ والشَّقاء، فقال:

وَلَسْـــــتُ أَرُومُ العَـــــيْشَ كَالـــــذِّيبِ

عَلَـــى وَجْهِـــهِ، يَعْـــوِي إِذَا اللَّيْـــلُ عَسْعَســـا

فَمَـــا نَعِمَـــتْ دُونَ النِّسَـــاءِ مَعِيشَـــةٌ

يَشِـــبُّ الفَتَـــى فِيهَـــا وَحِيـــدًا مُنَحَّســـا

ومما أعجبني في هذا البيت الأوّل من هذين البَيْتَيْن، اقتباسه مِنَ القرآن الكريم؛ فاقتبس مِن قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾، قوله في آخر بيته: "إذا الليل عسعسا".

كما أنه في البيت الثّاني منهما أشار إلى حديثٍ مِن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ». رواه مسلم.

ثُمّ بَيَّنَ أنّه لمعرفته بأنّ الدُّنيا لا تطيب بِدُونِهِنَّ، ولا يهنأ عيشٌ إلَّا بِهِنّ ومعهنّ؛ فإنه يرجو من الله سبحانه أن يرزقه منهنّ أربعا يملأن قلبه، ويُحَصِّنَّ فرجه، فقال:

وَلَكِنَّنِـــي أَرْجُـــو مِـــنَ اللهِ أَرْبَعًـــا

يَقِـــينَ فُـــؤَادِي أَنْ يَزِيـــغَ فَيُنْكَســـا

ومما أعجبني في هذا البيت إشارته إلى قول الله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. سورة النساء: مِن الآية 3.

وطَلَبَ أربعا اتّباعا لسنة أكمل الرّجال، وطلبا للكمال، وقطعا للظّنون السّيّئة إذا خطرت في بال؛ فأمّا أكمل الرّجال فقد توفِّيَ عن نساءٍ كثيرات -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

وأما طلب الكمال، فَلِمَا جاء عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً. رواه البخاريّ.

وأما قطع الظُّنون السّيّئة، فالذي يَطلبُ أربعا لا يُظن فيه الزُّهد فيهنّ، وإرادة التّبتّل بترك نكاحِهِنّ.

ثم لم يجعل رجاءه قاصرا على الدّنيا الفانية؛ بل طمع بسَيْرِه على شرع ربّه، وطلبِه للحلال جهده، وبُعدِه عما حرم الله عليه؛ أن يُدْخِلَه الله الفردوس الأعلى، ويرزُقَهُ فيها الحور العين التي لا تفنى، حتى يتنعم معهنّ نعيما لا كدر فيه، ولا تنغيص معه، فقال:

وَأَطْمَـــعُ فِـــي الفِـــرْدَوْسِ طَـــابَ نَعِيمُهَـــا

وَحُـــورٍ حِسَـــانٍ لَا يُكَـــدِّرْنَ مَجْلِســـا

وأخيرا أقول: أنا هكذا فهمت القصيدة؛ ولذلك قلت فيها ما قلت، وأثنيت عليها وعلى صاحبها بما أثنيت، وكما قلت آنفا: «لست ممن يجامل فضلا أن يخاتل، ولست أيضا ممن يقول الكلام إلا إذا اعتقده وكان يقصد معناه الذي يدلّ عليه».

فحينما قلت:" قصيدة رائعة، ماتعة، قوية في مبناها، مفيدة في معناها، قالها شاعر مدينتنا وأديب بلدتنا، أسأل الله أن يُسَدِّدَهُ فيما يُسْتَقْبَلُ مِن حياته، وأن ينفع المسلمين بقصائده، وأشعاره"؛ قصدْتُ هذه الكلمات، وكانت لي من ورائها غايات؛ وبيانها:

- قوية في مبناها: لِما فيها من الكلمات العذبة والسهلة، والأساليب الأدبيّة الرّائعة مِن تشبيه وغيره.

- قوية في معناها: أظنّ أنه قد اتّضحتْ قُوة معناها بهذه الكلمات اليسيرة عليها، ومن أعظم ما جاء فيها اشاراتها إلى ذلكم الكم الهائل من النّصوص القرآنيّة والأحاديث النّبويّة.

- قالها شاعر مدينتنا وأديب بلدتنا: أقصد مِن السّلفيّيّن الذين اطّلَعْتُ على نِتَاجِ بَعْضِهِمْ فلم أجد أشعر منه، ولَا أقدر على صياغة الشِّعر منه.

- أسأل الله أن يُسَدِّدَهُ فيما يُستقبَل مِن حياته: هذا فيه استبشار بكثرة ما سيقوله بإذن الله من الأشعار. ومرّ بمخيلتي -وأنا أكتب هذا الكلام- أن يصدر له ديوان أو أكثر.

- وأن ينفع المسلمين بقصائده وأشعاره: وهذا قصدْتُ بِه حثّه على نفع إخوانه، وأن يسير على هذا الدّرب، ولو أصابه ما أصابه، لأن شِعر الفضيلة صار لا يُحتفى به في هذه الأزمان، وإنّما احتفاء النّاس بشعر الرّذيلة، والذي يُتَوَّجُ أصحابه كالسلاطين. فأردت أن أَشُدَّ مِن أزره، وأنْ أُبَصِّرَه بما يجب عليه أن يَقْصِدَهُ بشعره.

ومن باب التّنبيه، فإنّ المعانيَ التي ذكرتها لكلمات أبياته قد يكون قاصدا لها، وقد يكون مُوفَّقا في قولها، وفي كِلا الحالتين فهو ممدوح عليها؛ لأنّه إذا كان قصد كل تلك المعاني وأوردها في هذه الأبيات القليلات فهو مُمَكَّنٌ من فَنِّه ويستحقّ

ثنائي، وإن كان لم يقصدها وإنَّما وفَّقَهُ الله إليها، فهو مُؤيَّدٌ على فَنِّه؛ والله الموفِّقُ.

وكتبه: أبو عبدالسّلام، عبدالصّمد سليمان.